مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية Journal of letters and Social Sciences (JLSS)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4

تعاون الصوفي والفقيه، مطلب الوحدة الإسلامية وعبد الرحمن طه نموذجا

Sufi and al-Faqih (Islamic Jurist), Cooperation: A Demand for Islamic Unity, with Abdul Rahman Taha as a Model."

د. العزة محمد الولي
Dr. Eleza Mohamed Elwely
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تونس، تونس
elezza2005@gmail.com

ملخص

تعد مسألة «وحدة المسلمين» قضية حساسة في الحيز الحضاري الإسلامي، وبقدر أهميتها بقدر ما توجد مجموعة عوائق تحول دونها، ويأتي هذا المقال ليسلط الضوء على أحد تلك العوائق، وهو علاقة الفقيه بالصوفي، علاقة يمكن القول بأنها عادت للواجهة منذ أن أعيد للتصوف شيء من زخمه الاجتماعي والفكري مطلع القرن الحالي برعاية سياسية بالمقام الأول، وقد حاولنا الكشف من خلال هذا العمل عن المسوغات التي تجعل من الضروري إعادة تقييم تلك العلاقة وذلك بتقديم عرض عن المسؤوليات التي ينبغي أن يطّلع بها كل فريق كخطوات يقطعها باتجاه «الاتفاق» أو «الوحدة» المنشودة إسلاميا، وقد وجدنا في الحالة التي يمثلها الفيلسوف المغربي عبد الرحمن طه نموذجا يجتمع فيه الاثنان (الصوفي والفقيه).

معلومات حول المقال
تاريخ الاستلام 28-05-2023
تاريخ القبول 06-02-2025

الكلمات المفتاحية
الوحدة الإسلامية
الفقه
التصوف
الطرق الصوفية
عبد الرحمن طه

يحمل التاريخ الإسلامي في طياته خريطة لأشكال من الممارسة الدينية، ولعل تلك الخريطة لازالت قائمة، ومن أبرز معالمها المساحة التي يشغلها الفقه والفقهاء باعتبارهم الممثلين «الأساسيين» للتوجه الديني للناس، فالفقيه بلغة التصوف هو شيخ عامة المسلمين، وذلك بحفظه لأحكام الدين التي يحرص على «توفيرها» للعامة عن طريق الفتوى. وفي مساحة أخرى من تلك الخريطة، دون أن تناقض الأولى أو تكون في استقلال حقيقي عنها، نجد التصوف والصوفية، والذين «غالبا» لا يعنيهم كثيرا استئثار الجانب الفقهي بالتوجه الديني لعامة الناس لأنهم يرون أن ما عندهم شيء يفوق ذلك، فهم الخواص، في اعتقادهم، والخواص ميزتهم أنهم قلة. ومهما يكن من أمر «خريطة» الممارسة الدينية فإنها ليست مركز حديثنا هنا، فقط، اتخذنا منها مقدمة لنبين أننا أمام ممارستين[1] مختلفتين وفهمين مختلفين للإسلام قد طبعا تاريخ أهل هذا الدين، ولعل هذا الانقسام تجذّر مع ما يمكن تسميته ب «السلفية الإسلامية الحديثة» والتي وصلت قطيعتها مع التصوف حتى (باتت هذه السلفية تقترن بالتصوف اقتران الضد بضده) (عبد الرحمن، طه، 2021). غير أننا في هذا الموضع لسنا بصدد سرد تاريخ بخلافات الفريقين بل تقديم مجموعة من المسوغات والتي تدفع باتجاه توحيدهما، والتي على رأسها اللحظة التاريخية الحالية، حيث عصر من مميزاته أنه لا مبرر للبقاء في حالات انفصال وانقسام وقد «صُبّ كل شيء في كل شيء».

ولكي يتحول الفريقان إلى فريق واحد لابد من المرور بالطريق الذي يكونان فيه منفصلان، أي دورهما حتى نجد فيه ما «نغري» به الفريق الآخر من أجل التقدم خطوة باتجاه المصالحة والاتحاد.

1-الصوفية من الأمة ركن أم أقلية؟

في كتابه الدولة المستحيلة يصنف وائل حلاق (التصوف نطاق مركزي إسلامي بجانب الشريعة) (حلاق وائل، 2020) وفي ذات الكتاب أيضا يعتبر (التصوف السني الذي صاغه الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين»، وجها من وجوه تربية

1- نجد تسميات عدة لمعنى الانقسام الحاصل في الممارسة الدينية مثل اعتبار أن (علم الشريعة علمان، ظاهر وباطن، الظاهر اختص به الفقهاء وأهل الفتيا في الأحكام العامة والعبادات والمعاملات، والباطن اختص به الصوفية، واشتمل على ما يتعلق بهم من مراقبات ومحاسبات ورياضات ومجاهدات واحوال ومقامات...) انظر مصطفى حلمي، محمد. (2020). **الحياة الروحية في الإسلام**. وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ط1، ص: 112

الذات، عبر الرياضة الروحية التي تترسخ فيها القيم الأخلاقية المتطابقة كليا مع الفضائل الإنسانية) (حمد رضا، 2018)، وفي تلك الإنسانية رحابة البشرية كلها، تلك التي يبشر بها الدين الذي وِجهته العالمين. هذا من الناحية النظرية أما من الناحية العملية، وقبل أن نصل للحظة الراهنة فيمكن القول إن الطرق الصوفية في التاريخ الإسلامي لعبت دورا كبيرا في الحياة الدينية والأخلاقية للناس خاصة في اللحظات التي يمكن اعتبارها «فترة» من الحضارة والعلم، أو بعبارة أخرى أزمنة الانحطاط وتفشي الجهل، وإذ يفضل البعض قراءة هذا الواقع على أنه قدح في الصوفية حينما كان اشتداد عودها متزامنا مع لحظات الجهل وبالتالي فهي تعبير عنه بشكل من الأشكال، إلا أنه من الممكن أيضا النظر للأمور من زاوية أخرى، وهي أن الصوفية كانت الجندي الأخير أو المعقل الأخير الذي لم يسقط في يد الجهل والانحطاط الديني، فحفظت للناس دينهم وأخلاقهم، حينما علّمهم «الشيخ» «كيف يكون المؤمن»، وما تحلّقهم حوله واتباعهم له إلا إطار معرفي من نوع ما، له ما له وعليه ما عليه. وإذا ما ذكرنا جهاد الصوفية ضد المستعمر وجدنا أن الطريقة الصوفية كانت تعبر عن الإطار الأكثر رواجا لتوحيد الناس وجمع كلمتهم ولنا مثال في «المهدية» و«السنوسية».

أما عن لحظة اليوم فإنه لا يمكن القول بأفول شمس التصوف بل إن (الفاعل الصوفي يقوم بأدوار التنشئة الدينية في كثير من الدول، بما فيها دول المهجر خصوصا أمريكا وأوروبا)(جرموني رشيد، 2017) ، ليكون بذلك جزءا أساسيا من صورة الأمة الإسلامية، وحينما نتذكر أن مؤتمرات وندوات تعقد سنويا وبشكل متناثر هنا وهناك للتعريف و«التواصل» مع ما يسمى ب «بالعالم الصوفي» وأهله، فإنه لا يمكن قراءة هذا الواقع إلا أنه يتم التعامل مع المُكوّن الصوفي على أنه «أقلية» وليس ركنا من أركان الممارسة الدينية الإسلامية، بل وقد ازدادت المسألة تعقيدا، حينما «ارتبط» بروز التصوف على الساحة العامة، بشكل أكبر، حديثا، بالدعم السياسي الذي يمكن التأريخ له في حالتنا المعاصرة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وهو أمر لا نقول إنه خدم الصوفية بقدر ما أساء إليهم، فأدى «جرّ» التصوف للظهور في جو طبعه «العداء للإسلام» إلى الإساءة ل»الحقيقة الصوفية» ومكانتها في التاريخ الإسلامي، والآن وقد حدث ما حدث، فإن ما «يجب» تداركه، أو التعامل معه هو المبادرة إلى الفصل بين النزعة المعادية للإسلام وبين التصوف، الذي «ليس له ذنب» إلا أنه تم استغلال فلسفة التسامح التي يُعرف بها، ثم إنه من «غير الوارد» أن يُبعث التصوف على يد من كانوا قد «هدموه» ذات يوم مع ما هدموا من أنظمة معرفية وثقافية واجتماعية إسلامية، ولا نقصد غير الكولونيالية الاستعمارية التي غيّرت وجه العالم الإسلامي وقلبت هذا العالم رأسا على عقب[1] وإنها لا زالت تسكنه بأكثر من صفة.

ومهما يكن من التاريخ يبقى التصوف واقعة اجتماعية ودينية وثقافية بل وحجر زاوية عند البعض، وهو كأحد نماذج الممارسة الدينية يذهب البعض إلى اعتباره انعكاسا ل (تطور النموذج النبوي ليصبح نظرية في الإنسان الكامل، الذي هو هدف الحياة الفاضلة) (حلاق وائل، 2020)، لذلك فإن البقاء على حال الصدود عن هذا الواقع، وأخذ مسافة منه، والاكتفاء بإطلاق الأحكام على معارفه ووسم أهله قد يعد وضعا سلبيا، خاصة إذا كان ممن يحسب على أهل العلم الذين لا عذر لهم في موقف مبني على «حكم مسبق».

2-الفقيه وزمام المبادرة

لطالما «احتكر» العلماء من فريق الفقهاء صدارة «الإسلام الرسمي» وتكلموا باسمه في حالة من الغياب «شبه التام» من «المنافس») الشيخ والعالم الصوفي (، فبقي صوت الفقيه هو «صوت الإسلام الأعلى» وصوت العامة من أهله، وصوت العرف الديني، والمذهب ... ومن هذه الوضعية ربما تكون مسؤولية ردم الهوة بين الممارسة الدينية الفقهية ونظيرتها الصوفية تقع على عاتق الفقيه بالمقام الأول.

اتخاذ زمام المبادرة من قبل الفقيه يحتاج منه أن يطرح على طاولة نقاش تجمعه بالشيخ الصوفي تساؤلات واشكالات من قبيل: لماذا نقبل بواقع أن هناك من المسلمين من يكفر ويبدع ويضلل مسلمين آخرين؟ ألم يحن الوقت لمراجعة شرعية تصوب بموجبها «الأمور»؟ وطالما أن (المتصوف لا يرفض الشريعة اطلاقا ولا طقوس الإسلام) (الخياري بريزا 2015) فإن جُبّة الإسلام حتما ستسع الجميع من منظور توافقي.

1- يقدم وائل حلاق في مقدمة كتابه إصلاح الحداثة، عرضا مستفيضا عما يسميه (الأنفاس الأخيرة للعالم الثقافي والمؤسسي والفكري) للإسلام قبل التحول الذي أتى به الاستعمار، تحول شهد (تدميرا ضخما لمؤسسات الإسلام بمفهومها الشامل) بما في ذلك الطرق الصوفية التي أصابها ما أصاب الأمة ككل.

صحيح أن الفريق الفقهي غالبا هو صاحب تلك الاتهامات[1]، وهنا يظهر الدور المقابل للصوفي أمام هذه الوضعية، ألا وهو ضرورة الحضور إلى تلك «الطاولة» وتحمل مسؤوليته تجاه الدين والأمة، والتعاطي بكل شفافية مع النقاش الديني الفقهي، وليُكشف النقاب عن التجاوزات الشرعية عن طريق تقديم تحديد وتصنيف وجرد بها، تجاوزات تلاميذ وأتباع الطريقة والدخول في برنامج إصلاحي مشترك يوجه الشيخ بموجبه أتباعه للامتثال للرأي الفقهي، ويفتي كما يفتي الفقيه ضد البدع التي طالت الممارسة الصوفية، إن دعوة الصوفي لأتباعه بالاستماع للرأي الفقهي لا ينقص من أمر علمه شيئا إنما هو عمل يبرء به ذمته من «ممارسات تمت في غيبة منه» ووجه علاقته بها أنها «باسمه» أي بسم الطريقة.

(بعض الطرق الصوفية ابتعدت عن المعنى الحقيقي للتصوف ... فأخرجوا التصوف عن جوهره الإيماني الأخلاقي إلى أشياء لا عهد لأئمة التصوف بها من قريب ولا من بعيد) (صديقي عبد الخالق، 2022)، وعليه إن كان «الشيخ» رمزا للتعليم والتربية لا للضلال والبدعة فإنه لابد من إثبات ذلك بالدخول في مسار إصلاحي، ضروري، يكون هدفه تخليص «الطريقة» مما علق بها من أدران وشوائب الزمن، زمن الممارسة الذي اختلطت على طوله الحقائق الدينية وبالشبهات، وحتى يعود للطريقة الصوفية مكانتها الدينية والتاريخية، مكانة ربما لا زالت موجودة ولكنها خسرت الكثيرة من معناها الإيجابي.

إن تصحيح وضع «الحقيقة الصوفية» في أذهان العامة ممن يظنون أن «الطريقة» «ابتداع» وحتى «زندقة» والتأكيد على أن (السلوك الصوفي إيجابي وفعّال، ومظاهر التطرف والخروج عن الشّرع والشعوذة والدجل والمكر والخداع، هي أمور تحسب على التصوف ولا تنتمي إليه) (قراوزان ليلى، زمري محمد، 2013)، قد تكون هي مهمة أهل التصوف الأولى في هذا العصر، أما مع «الخاصة» أي أهل العلم ممن يضربون صفحا عن كل شيء صوفي فإنهم لا شك مدعوون لهذا الحوار، مدعوون للتعرّف على «الطريقة» ومدعوون لطرح أسئلتهم على «شيخ الطريق»، وطبعا كل هذا لن يحدث إلا إذا كانت هناك دعوات متبادلة وأبواب مفتوحة.

من أجل المسلمين، ومن أجل الأمة، ومن أجل الدين، ربما حان الوقت لمحاولة تجاوز الكثير من الخلافات الدينية «الممكنة التجاوز»، على الأقل تلك التي تؤدي ببعض المسلمين لأن يكفروا ويبدّعوا بعضا، خاصة إذا انطلقنا من حقيقة أن (أئمة التصوف يجمعون على أن التصوف طريق يسير فيه السائرون أو السالكون حتى يصلوا إلى غايتهم وبغيتهم، وهو الله) (أبو الرمان محمد، 2020)، صحيح أن التاريخ الفقهي زاخر بالقضايا ذات الارتباط بموضوع التصوف، ونوازل متعلقة بسلوك المتصوفة، وقضايا تُلزم الفقهاء التدخّل لتقويم أشكال من الانحرافات السلوكية والعقدية لدى طوائف من المتصوفة، وقد وضعوا في ذلك تصانيف (خلافي زاهية، بلبشير عمر، 2017)، إلا أن هذا التاريخ ليس مبررا لاعتباره مساهمة كافية في الربط بين اتجاهات الممارسة الدينية الإسلامية، وكأن الخوض في موضوع كهذا هو «فرض كفاية» وقد سقط عن المتأخرين بأن أداه الأولون، في حين أن هناك اعتبارات تاريخية وحضارية تجعل من وحدة المسلمين ورص صفوفهم مسألة حيوية يجب أن يعاد طرحها بمعايير العصر في كل مرة، ولعل «موجات» «العودة» للهوية دينية[2] التي تضرب الواقع المادي العلماني في المجتمعات ذات الأغلبية الإسلامية من فترة لأخرى خير دليل على أنه ليس هنالك بديل للمسلمين عن هذا الدين، وأنه عليهم أن يُصلحوا أمرهم طالما أنه ليس في أصول الإسلام ومرتكزاته ما يشكون فيه.

3–مسؤولية مشتركة

وإن سلّمنا بالدور الهام الذي تلعبه المؤتمرات والأنشطة التي تعقد تحت شعار التصوف، إلا أن هناك ما يمكن اعتباره «تقصيرا» من جهة المتصوفة الذين «لا يهمهم» رأي جماهير المسلمين في التصوف، و«تقصيرا» من الفقهاء الذين يمسحون طاولة التصوف بضربة واحدة دون نية إعادة ترتيبها. ولتلافي حالة الانقطاع هذه ربما لابد من تحريك المياه الراكدة بين الفريقين لمزيد من اللحمة الإسلامية التي تتعاظم الحاجة لها يوما بعد يوم، لحمة على هذا المستوى على الأقل، على أمل أن تكون مقدمة لوجودها على مستويات أخرى «فتلتئم جروح» و«تُردم هوّات».

1-(تولت «السلفية الإسلامية» محاربة الممارسات التعبدية التي تدرجها في باب «البدع» و«الشرك»... ولما كان الصوفية يوظفون على أنفسهم من أعمال العبادة ما لا يُضاهيهم فيه سواهم، فقد كان حظهم من هذا التبديع والتشريك أكبر من حظ الآخرين) عبد الرحمن، طه. **المفاهيم الأخلاقية بين الائتمانية والعلمانية**، الجزء الأول... ص: 32

2-يُرجع فرانسيس فوكوياما أسباب هذه العودة إلى (الإحساس بالتهديد الثقافي والسياسي من خارج العالم الإسلامي... وطالما أن الناس يظنون بأن هويتهم معرّضة للتهديد فإني أعتقد بأن الإسلام سيبقى يقدم نفسه كهوية للعالم الإسلامي) ليبدو الإسلام وكأنه المرجع أو الحصن الذي يجد فيه المسلمون الملاذ ضد تلك التهديدات، وكأنه أيضا الصورة الأسمى لوحدة المسلمين على كثرة اختلافاتهم العرقية والقومية والثقافية والاجتماعية... انظر فوكوياما، فرانسيس. (2015). **الإسلام والحداثة والربيع العربي**، ترجمة: حازم نهار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، ص: 64.

وكما أن الاتجاه الفقهي متعدد المذاهب كذلك هو التصوف أيضا، فإذا ما تجاوزنا أمر التجارب الشخصية، أي تاريخ التصوف الفردي، نجد أن (تعاليم أصحاب الطرق التي ظهرت في الإسلام ابتداء من القرن السادس، يختلفون في تفاصيل التكاليف العملية في الطريق الصوفي، كما يختلفون في المسائل النظرية والحياة الاشراقية ومظاهرها في المقامات والأحوال) (عفيفي، أبو العلا، د.ت) فنكون بهذا أمام تجربة دينية غنية ومتنوعة بالمذاهب والاجتهادات، إنه واقع الأمة منذ الفتنة الكبرى، ومنذ الازدهار الثقافي والعلمي والمادي إبان العصر الذهبي العباسي، فعن أي أحادية اختزال لمعنى الدين ذلك الذي يريدنا له من يرفض «الآخر» الصوفي أو الفقهي المذهبي؟ لقد أفتى العلماء المتصوفون على المذاهب السنية الأربعة، وقد تصوف أئمة الفقه الكبراء، فلا يجدر بعد كل هذا التاريخ إلا أن يكون للمتأخر حظ من عمل السلف وعلمهم، ولأن هذا العمل كتب عن المتأخرين فإننا نُظهر مثاله من أهله:

4–عبد الرحمن طه، نموذج الوحدة الفقهية الصوفية «الناجح»

بينما يفاخر عبد الرحمن طه بتجربته الصوفية نجد المشتغلين بالفكر والفلسفة ممن لهم معرفة بأعماله الفكرية يطلقون عليه لقب «الفيلسوف الفقيه»[1] في حالة من «الموسوعية» العلمية والعملية تذكرنا بأبي حامد الغزالي، إن عبد الرحمن طه كنموذج معاصر يجمع بين معرفة فقهية وتجربة صوفية يبعث برسالة واضحة من خلال مكانته العلمية الكبيرة التي يحدثنا عنها مشروعه الفكري الفلسفي ذو الطابع الأخلاقي الديني، أنه لا تعارض بين الرؤية الفقهية العقلانية والرؤية الصوفية الروحية، بل إن إحداهما تعميق وتأصيل للأخرى، فيقول عبد الرحمن «المتفقه» عن تجربته الصوفية: (لقد دخلنا في تجربة إيمانية عميقة بدّلت أحوالنا وأوصافنا، ووسعت آفاق مداركنا ومشاعرنا، وأيقظت فينا أسباب المواظبة على العمل ودواعي الألفة والمحبة للخلق) (عبد الرحمن طه، 1997).

وحينما وضع عبد الرحمن طه «نظريته» حول العقل ومراتبه وانتهى فيها إلى أن العقل المؤيد بالشرع يكاد يكون كمال العقل البشري، غير أن هذا العقل، أي المؤيد عليه أن يقصد من العمل الشرعي ما كان على جهة (التجربة الإيمانية الحية)[2]، وليست تلك إلا التجربة الصوفية، يقول: (إن العقل المؤيد لا تظهر كمالاته في الممارسة العقلانية الإسلامية بقدر ما تظهر في الممارسة الصوفية) (المصدر السابق، ص: 146) ، إن التصوف بالنسبة لعبد الرحمن طه تأصيل للعمل في الشرع، فلا يكون الدين نظر بقدر ما يكون عمل، ولا يكون حكم بقدر ما يكون حكمة ومقصد، وذلك ما نجده عنده في أول شرط من شروط كمال العقل، ألا وهو: (أن لا ينفك العلم عن العمل في الممارسة العقلية)(المصدر السابق، ص: 147) ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن العقل عند عبد الرحمن ليس هو ذلك العقل الذي نازع فيه الفقهاء والمتكلمون «زمنا» حينما توجب عليهم البت في علاقته بالنقل، بل هو عقل «يتماهى» مع الشرع حينما يكون مؤيدا، ويضل وينسى حينما يبتعد عن الشرع، ولا مجال للمنازعة ذلك أنه، حسب عبد الرحمن، لا (تعارض ولا ابتداع في أن نقول بأن العقل الإنساني إلهي، والشرع الإلهي إنساني، ولا في أن نقول بأن العقل شرع داخلي والشرع عقل خارجي، ولا في أن نقول بأن العقل شرع صناعي والشرع عقل طبيعي) (عبد الرحمن طه، 2000)..

ربما لعبد الرحمن طه كثير أقوال حول التصوف وكثير أبواب يدخل منها إلى مواضيعه ولكن اختيار مسألة العقل قد يكون له ما يبرره ذلك أن الصوفية لطالما اتهموا بأنه «لاحظ لهم» من الممارسة العقلية، وأن «اللاعقل» هو ما يحكم تجربتهم «العرفانية» بتعبير الجابري.

ورغم أن عبد الرحمن طه ليس بدعا من «العلماء العاملين» إلا أن تجربته كشخصية معاصرة تلفت النظر إلى مدى الانفصال الحاصل بين اتجاه الفقه واتجاه التصوف، أو اتجاه البيان واتجاه العرفان بالاصطلاح الجابري، فقد غضبت «السلفية» من عبد الرحمن لتصوفه، وغضب منه المتصوفة لحضوره ومشاركته الفاعلة في الشأن العام، مما جعله يتعرض للتهميش والإقصاء في الساحة الفكرية سنوات عديدة من منطلقات أيديولوجية (أرحيلة عباس، 2013). ورغم ذلك لم يتراجع عبد الرحمن طه عن طريقه قيد أنملة، فلم يلتفت في كتاباته للنقد الموجه إلى «صوفيته» خاصة، أو يعمد إلى «حلول وسطى» أو «طرق قصيرة» كأن يبين أن هناك فروقا بين التجربة الخُلقية أو الروحية أو العملية والتصوف،

1- وصف عبد الرحمن طه بالفقيه هو وصف تشريفي غالبا، فالرجل لم يقدم نفسه بهذه الصفة من قبل، ومسيرته الدراسية أيضا لم تتضمن تخصصا صريحا في الفقه الإسلامي

2- (العقل درجات، وأبلغ الدرجات في العقلانية ما أخذ بالتجربة الإيمانية الحية) المصدر السابق، ص: 12

بل انبرى يدافع عن التصوف بعقلانية (جلال سليمة، 2021)، لقد كان، ولازال، واثقا مما أورثته إياه تجربته الدينية الصوفية من «فتوحات» ألهمته الكثير من توجهاته الفكرية والتي على رأسها أخلاقية الإنسان وضرورة الاتصال بين العلم والعمل، فقد (آن الأوان لأن نحاسب المتكلم في شؤون العقيدة على مدى انطباق ما يقول على سلوكه ومدى استحقاقه أن يكون قدوة فيما يقول.) (عبد الرحمن، 2020)

إن الطاهائية[1]، المؤلفة من أكثر من عشرين كتابا حتى الآن، ليست فقط مشروعا فلسفيا أخلاقيا... بل هي أيضا نموذج للعمل الفكري الإسلامي الذي تلتحم فيه الرؤية الفقهية العقلية بالرؤية الصوفية الروحية، لتكون فرصة لتأمل اجتماع العلم مع العمل، النظر مع التجربة، فيقرأ من خلال هذه التجربة دروسا جمة يحتاجها العقل الإسلامي، وهو الذي يملك من الأعداء خارج إطاره ما يشغله عن معاداة بينية بين أقطابه، أي ما يدفعه للنظر في أسباب اتحاده وألفته أكثر من النظر في أسباب فرقته.

التاريخ الإسلامي زاخر بالتنوع الطائفي والمذهبي، وزاخر أيضا بدرجات من الممارسة الدينية، وهو أيضا زاخر بالتعايش رغم لحظات التطرف والتعصّب، وإن كان هنالك ما يمكن الوقوف عليه من مميزات لحظتنا التاريخية الحالية فهو تصاعد القيم المادية، وعليه فلابد أن صوتا واتجاها روحيا من صميم التجربة الإسلامية هو ما تحتاجه المجتمعات المسلمة لموازنة قيم وفلسفة حياتها المعاصرة، وإن كانت هناك مخاوف «عقلية» من أن تجرّ التجربة الصوفية الإنسان المسلم إلى حالة من الانفصال عن الواقع، فإنه وحسب «بيانات الواقع» المادي تبدو احتمالية «الغرق تماما» في هذا الواقع أعلى بكثير من احتمالات انفصاله عنه، وبعبارة أخرى: ما احتمالات أن تُنتج لنا التجربة الصوفية «حلاجا» أو «بسطاميا» جديدا بقدر ما قد تُنتج لنا أشخاصا ينهلون من الدين تخلُّقا يُقيم اعوجاج النفس، ويقبضون منه على عرى تذكرهم بأن هذه الحياة شكل من أشكال الوجود لا كل الوجود وهذه تماما هي فلسفة الإسلام حيث هناك حياة دنيا وهناك حياة أخرى، (إن نظرة صوفية الإسلام إلى الكون والإنسان ذات مغزى أخلاقي بعيد، فهم يريدون أن يبينوا للناس أن الكون مجرد شأن من شئون الله، ومصيره حتما إلى الفناء، فلا ينبغي للإنسان العاقل أن يتعلق نفسيا بالكون إلى حد العبادة) (التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، 1970). وتأتي تجربة عبد الرحمن طه «لتسكُب» مزيدا من العمق الفلسفي على هذا المعنى الصوفي حينما تجعل من وجود الإنسان وجودا أخلاقيا تعبديا في جوهره، فيحمله ذلك على تحقيق ذاته بالتخلّق في كل حركاته وسكناته، في علاقاته مع كل الموجودات... فهل إذا ما استعضنا عن «الصوفي» ب «الأخلاقي» يمكن أن نتجاوز بعض «الحساسيات» عند من يترددون في التعاطي مع «التصوف»؟

خاتمة

مسألة الوحدة الإسلامية مسألة شائكة في زمن الدولة القطرية والقومية ... وقد كانت دائما شائكة فيما يتعلق بأوجه الممارسة الدينية: تعدد المذاهب الفقهية والعقدية... لذا فإن طرحها من أوجه عدة، وجها وجها، هو أمر لا مفر منه، وهذا ما حاولنا المساهمة فيه من خلال هذا المقال الذي استذكرنا من خلاله العلاقة بين الفقيه والمتصوف، وكيف تنعكس هذه العلاقة على مسألة وحدة المسلمين، وفي هذا الزمن بالذات حيث لا يوجد للمسلمين كيان سياسي موحد ربما يزداد الإلحاح على وحدة على المستوى الديني الثقافي. قد لا يكون من «المبالغة» القول باستمرار حالة التمايز بين الممارسة الفقهية السلفية وبين الاتجاه الصوفي التربوي الطُّرقي، فبكل سهولة يمكن للمسلم العامي أن يشير بالبنان ويقول: هذا سلفي وهذا صوفي ... مما يعني حالة انفصال متقدمة يتقاعس فيها كل فريق عن «أداء واجب» تلافيها، وقد رأينا من خلال نموذج الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن قلبا لهذه الآية، باعتباره رجل فكر متمذهبا تمذهبا فقهيا صريحا إلى جانب كونه من رجال الممارسة الصوفية.. مقدما بذلك صورة ممكنة للوحدة على مستوى معرفي متقدم، فهل سيكون للصورة التي يمثلها عبد الرحمن طه والنموذج الذي يعكسه أثر على العلاقة بين الفقهي العقلاني والصوفي الروحاني في الساحة الإسلامية؟ أم أنه سيبقى حالة فردية لا تظهر إلا من حين لآخر لا لشيء إلا لأن الخلاف بين الفريقين أكثر تجذرا من أن يتم تخطيه بنماذج معدودة وأفكار محدودة؟

1- نسبة لعبد الرحمن طه، أو طه عبد الرحمن كما هو شائع

المراجع

1. أبو الرمان، محمد. (2020). أسرار الطريق الصوفي، مجتمع التصوف والزوايا والحضرات في الأردن. ط2. الأردن: مؤسسة فريدريش ايبرت.
2. أرحيلة، عباس، (2012). فيلسوف في المواجهة: قراءة في فكر طه عبد الرحمن. ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
3. حلاق، وائل. ترجمة: عمرو عثمان، (2020). إصلاح الحداثة، الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن. ط1. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
4. عبد الرحمن، طه، (2000). سؤال أخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
5. عبد الرحمن، طه، (2021). المفاهيم الأخلاقية بين الائتمانية والعلمانية. الجزء الأول، ط1، الرباط: دار الأمان.
6. عبد الرحمن، طه،)1997). العمل الديني وتجديد العقل. ط2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
7. عفيفي، أبو العلا، التصوف، الثورة الروحية في الإسلام. بيروت: دار الشعب للطباعة والنشر.
8. فوكوياما، فرانسيس. (2015). الإسلام والحداثة والربيع العربي. ترجمة: حازم نهار. ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
9. مصطفى حلمي، محمد. (2020). الحياة الروحية في الإسلام، وكالة الصحافة العربية. ط1. القاهرة: ناشرون.
10. التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي. الإنسان والكون في الإسلام. مجلة عالم الفكر. 1970
11. جرموني، رشيد. التصوف والسياسة الدينية بالمغرب. مجلة عُمران. المجلد 5، العدد 19، 2017
12. جلال، سليمة. تراتبية العقل في الممارسة الإسلامية عند طه عبد الرحمن، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. المجلد 18، العدد 1، جامعة عباس لغرور، الجزائر، 2021
13. حمد، رضا. الدولة والأخلاق، مساءلة لمشروع الحداثة. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. 2018
14. خلافي، زاهية. بلبشير، عمر. قضايا التصوف بين فتاوى الفقهاء وممارسات المتصوفة، طبيعة العلاقة وحدودها، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. المجلد 8، العدد 1، 2017
15. الخياري، بريزا. التصوف روحانية ومواطنة. ترجمة: عبد الحق الزموري، مؤسسة التجديد السياسي Fondapol . 2015
16. صديقي، عبد الخالق. الدور التربوي للطرق الصوفية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 3، العدد 9، المغرب، 2022
17. قراوزان، ليلى. زمري، محمد. التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). المجلد 27، الجزائر، 2013

Sufi and al-Faqih (Islamic Jurist), Cooperation: A Demand for Islamic Unity, with Abdul Rahman Taha as a Model."

Abstract

The issue of "Muslims unity" is considered a sensitive matter in the Islamic civilization sphere, and as important as it is, there are numerous obstacles hindering it. This article sheds light on one of these obstacles, which is the relationship between the Faqih (Islamic jurist) and the Sufi. It could be said that this relationship has reemerged to the forefront since Sufism has regained some of its social and intellectual momentum at the beginning of the current century, primarily through political and intellectual sponsorship. Through this work, we attempt to uncover the justifications that necessitate reevaluating this relationship by presenting an overview of the responsibilities that each team should assume as steps towards the desired Islamic "agreement" or "unity." We found that the Moroccan philosopher Abdul Rahman Taha represents a model where both the (Sufi and Faqih) roles converge.

Keywords
islamic unity
jurisprudence
sufism
sufi sects
Abdul Rahman Taha

« La coopération entre le soufi et le juriste : une exigence pour l'unité islamique – Abdel Rahman Taha comme modèle».

Résumé

La question de « l'unité des musulmans » constitue un enjeu sensible dans l'espace civilisationnel islamique. Aussi cruciale soit-elle, cette question se heurte à un ensemble d'obstacles qui entravent sa réalisation. Cet article se propose d'examiner l'un de ces obstacles : la relation entre le juriste (faqîh) et le soufi. Une relation qui a refait surface, notamment depuis que le soufisme a retrouvé un certain élan social et intellectuel au début de ce siècle, souvent sous l'impulsion de soutiens politiques. À travers cette étude, nous avons tenté de mettre en lumière les justifications qui rendent nécessaire une réévaluation de cette relation, en présentant les responsabilités que chaque partie devrait assumer comme étapes vers un « accord » ou une « unité » souhaitée dans le cadre islamique. Nous avons trouvé dans le cas du philosophe marocain Abderrahmane Taha un modèle incarnant cette double dimension, à la fois soufie et juridique.

Mots clés
unité islamique
jurisprudence (fiqh)
soufisme
confréries soufies
Abderrahmane Taha

Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal›s copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).
To see a copy of this license, visit:
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.
للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقًا لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023